الإسرائيليّون اليوم في الرياض والمدينة المنوّرة وغدًا يُقيمون مُستوطناتهم في خيبر..

ماذا يعني قرار وزير الداخليّة الإسرائيليّ بالسّماح لمُستوطنيه بزيارة المملكة؟ وهل كان الجبير آخِر من يعلم؟

عبد الباري عطوان

كُنّا نعتقد أنّ المملكة العربيّة السعوديّة ودول عربيّة أُخرى هي التي تمنع دُخول الإسرائيليين إلى أراضيها انطِلاقًا من موقفٍ سياسيٍّ وعقائديٍّ وأخلاقيّ بسبب احتِلال القدس والأراضي والمُقدّسات العربيّة والإسلاميّة، وانتِصارًا لدِماء الشّهداء الذين سقطوا في معارك تحريرها، إلا أنّ توقيع وزير الداخليّة الإسرائيلي آرييه درعي اليوم على قرارٍ رسميٍّ يسمح لمُواطنيه بالتوجّه إلى السعوديّة لأغراضٍ دينيّةٍ وتجاريّة في مُؤشّرٍ على تحسّن العُلاقات بين البلدين نسَف هذا الاعتِقاد كُلّيًّا.

سُلطات الاحتلال الإسرائيلي، ومِثل ما يُمكن فهمه من هذا القرار وتفرّعاته كانت تمنع سفر الإسرائيليين إلى السعوديّة لأنّها تخشى في اعتِقادنا على حياتهم، ولأنّها تُدرك جيّدًا أنّ السّلطات السعوديّة التي تستضيف الحرمين الشريفين في مكّة المكرّمة والمدنية المنوّرة، لا يُمكن أن تقبل بوجود هؤلاء على أراضيها بحُكم هذه المكانة الدينيّة، ولكن يبدو أنّ كُل هذه المُحرّمات قد سقطت، وبات الإسرائيليّون ليس مُرحّبًا بزياراتهم فقط، وإنّما توفير الحِماية الأمنيّة لهم، وحُضور المُؤتمرات والنّدوات والبحث عن الصّفقات التجاريّة أيضًا، وعلى أعلى المُستويات.

***

الّلافت أنّ هذا القرار الإسرائيلي الذي لا يُمكن أن يصدر إلا في ظِل ترتيباتٍ مُسبَقةٍ مع السّلطات السعوديّة، لأن العُلاقات بين الدّول لا تسير في طريقٍ من اتّجاهٍ واحدٍ، جاء في ظِل عدّة تطوّرات رئيسيّة:

الأوّل: قُرب إعلان إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن تفاصيل صفقة القرن التي تتضمّن نُصوصًا

صريحةً بتشريع التّطبيع الرسميّ بين دول عربيّة ودولة الاحتلال الإسرائيلي، خاصّةً تلك الدول التي شاركت في مُؤتمر المنامة في تمّوز (يوليو) الماضي، بزعامة جاريد كوشنر عرّابها الرئيسي، وتعهّدت سِرًّا بتمويل مشاريعها الاقتصاديّة التي تزيد عن 50 مِليار دولار.

الثّاني: وصول فريق تابع لقناة التّلفزة الإسرائيليّة 12 إلى الرياض وتجوّل طاقمهما الصّحافي في عدّة مُدن سعوديّة وإجراء مُقابلات مع عدد من المُواطنين السّعوديين، من بينها جدّة والمدينة المنوّرة، إلى جانب العاصمة، وبثّ هذه المُقابلات على الهواء مُباشرةً.

الثّالث: تشجيع السّلطات السعوديّة للعديد من المُواطنين السعوديين على إظهار إعجابهم بالإسرائيليين، وزيارة المُدن الفِلسطينيّة المُحتلّة، والتّباهي بالتّطبيع مع دولة الاحتلال، والحفاوة بالإسرائيليين، ودعوتهم إلى منازلهم أثناء زيارتهم للرياض.

الرّابع: شنّ حملة تكريه شَرِسَة ضِد الفِلسطينيين واتّهامهم ببيع أرضهم من قبل الجُيوش الإلكترونيّة السعوديّة على وسائل التواصل الاجتماعي، وبإيعاز من السّلطات الرسميّة.

الخامس: تشويه صورة محور المُقاومة وبث تقارير مُفَبركة عن وجود عُلاقات بين دول هذا المحور وخاصّةً إيران وسورية و"حزب الله" مع دولة الاحتلال، مع التّركيز على الفِتنة الطائفيّة.

السادس: تجريم حركات المُقاومة الفِلسطينيّة وخاصّةً حركة "حماس" ووضعها على لائِحة الإرهاب، واعتِقال كُل من له علاقةٌ بها، تلبيةً لمطالب إسرائيليّة.

***

نحنُ على ثقةٍ بأنّ الشّعب السعودي العربي المُسلم لا يقبل بمُعظمه، إن لم يكُن كلّه، مِثل هذه السّياسات، وما زال يعتبر إسرائيل عَدوًّا عُنصرِيًّا غاصِبًا للأرض والمُقدّسات، مِثله مثل جميع أشقائه في الدول العربيّة والإسلاميّة الأُخرى، وأنّ هذه التوجّهات الشاذّة التي تتعارض مع إرثه الوطنيّ والحضاريّ لا تُمثّل إلا القلّة في قمّة السّلطة، وهي القلّة التي أهدرت ثرواته، ودمّرت سُمعته وصُورته، وأغرقته في حُروبٍ عبثيّةٍ في اليمن وسورية وليبيا.

ومن المُفارقة وبعد كُل هذه التطوّرات، يخرج علينا السيّد عادل الجبير وزير الدولة السعوديّ للشّؤون الخارجيّة، ويُؤكّد أنّه لا تُوجد أيّ عُلاقات بين حُكومته مع دولة الاحتلال الإسرائيلي.

فإذا كان رفع الحظر عن زيارة الإسرائيليين إلى المملكة، ومنحهم تأشيرات الدخول السياحيّة، وتجوّل فريق تلفزيوني إسرائيلي بكاميراته قُرب قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنوّرة، لا يَعكِس وجود هذه العُلاقات فكيف ستكون العُلاقات إذن؟

اليوم سيتدفّق الإسرائيليّون إلى الرياض وجدّة والمدينة المنوّرة كتجّار وربّما كسيّاحٍ أيضًا، وغدًا كحُجّاجٍ إلى خيبر، وبعد غدٍ كغُزاة وأصحاب حقّ وتعويضات.. والأيّام بيننا.